كيف ينظر الرجل الى الكتابة النسائية

ابراهيم ي. النجار

يطمح السؤال، بكل بساطة، الى معرفة كيف ينظر كاتب هذه الاسطر الى الكتابة التي تجود بها قرائح النساء. وهنا اجد نفسي في حيرة، اذ لا استطيع ان اميز بين نفسي كرجل وذاتي كمثقف او مفكر يحاول ان يحدد كيف ينظر الى ما تكتبه النسوة. فلو لم اكن مثقفا، لما استطعت تذوق الكتابة، ايا كانت، ولما تمكنت بالتالي من تحديد رؤيتي الى الكتابة النسائية. وهكذا عندما اطرح السؤال على نفسي، أجدني ملزما بالاجابة عن كيف يجدر بي، كرجل، ان انظر الى الكتابة الانثوية، لان الجدارة تفرض عليّ ان اتخذ موقفا متناسبا مع اخلاقياتي تجاه المرأة والمفكر. وهذه الاخلاقيات كما سنرى تلزمني حتما باتخاذ نظرة واحدة الى الانسان بجنسيه والى حرية التعبير.

وقد يظن البعض ان في الامر سفسطة وان وراء الاكمة ما وراءها. اذ اريد ان اغلّف مشاعري بلهجة فلسفية تموّه حقيقتها. ولكن الامر ليس كذلك لان لا مفر من الاشكالية التي يثيرها السؤال الاساسي : كيف ينظر رجل او الرجل الى الكتابة النسائية ؟ كيف يمكن التوصل الى تحديد الرجل الناظر الى الكتابة بوجه عام اولاً ؟ وهل في توصلنا الى ذلك من مجال لتحديد او عزل عامل الجنس فيه ؟ ان النظر فكر، وليس من ذكر او انثى في الفكر. فعندما افكر، لا يسعني ان احافظ على عامل الجنس في تفكيري او خلدي. فعامل الجنس ليس بذاته عامل الابداع

الفكري. وهكذا لا يمكنني ان انظر الى الكتابة النسائية كرجل لان ليس في النظر الى اي كتابة مجال للجنس.

وقد يقال انه يستحيل ان يتجرد الرجل من ذكوريته في نظرته الى الكتابة النسائية. فالانسان ابدا ذكر او انثى. ولا بدّ من الاعتراف بان كل من نظر الى امرأة، فانما ينظر اليها كي يشتهيها. فالشهوة، اذن، في نظر اصحاب هذا الرأي، تلازم بالضرورة نظر الرجل، من حيث كونه رجلا. فحين يتعلق نظر الرجل بالمرأة او بما تنتجه او تبدعه، يصبح نظرا مشهى، اي مشبعا بالشهوة. وهكذا عندما ينظر الرجل الى الكتابة التي تنتجها المرأة، فانما ينظر الى ابداع أنثوي، تماما كما يفعل عندما ينظر الى لوحة فنية رسمتها امرأة. انا لا اجاري اصحاب هذا الرأي فيما يذهبون اليه، لان النظر الفكري هو صنو للفكر، ولهذا لا يمكن للفكر ان يتصف بصفة جنسية، بل ما يميّزه هو المعنى المضمر فيه. ولهذا فعندما ينظر الرجل، كمفكر او مثقف، الى الكتابة النسائية، فهو حتما يعمل فيها فكره قبل كل شيء وفوق اي اعتبار آخر.

تكون الكتابة في مواضيع شتّى. ولا يمنحني كوني رجلا، تفوقا خاصا في فهم كتابات ليست في مجال تخصصي والحكم عليها سلبا او ايجابا. ولا فرق أكانت كتابات رجال او نساء. وكوني متخصصا في حقل ما، لا يجعلني عالما باختصاصات اخرى. وبالتالي فان الاحكام التي اصدرها حول كتابات ليست في نطاق اختصاصي، فهي لا تكون ذات اهمية كبيرة، أكانت حول كتابات نسائية ام لا.

وموقفي حيال الكتابات النسائية التي تقع ضمن تخصصي، اتذوّقها او انتقدها كما هي الحال مع اي كتابات اخرى في هذا المجال. ولا يضفي عليّ جنسي اية خصائص تجعلني اتعالى على النساء الكاتبات، لكونهن نساء، او احتقر كتاباتهن. والكتابة تساوي بين الرجل والمرأة كما تساوي بين الناس الى اي قوم انتموا. ولربما تعاليت سابقا على كتابات حررتها نساء، ولكن ارى الآن بكل وضوح خطأ ذلك الموقف: ولربما يتعالى غيري من الرجال على ما تكتبه النساء. ولكن من يعمل فكره مليا في الامر يجد ان لا مسوّغ له في ذلك.

ان الفكر واحد، وان انتجته قرائح مختلفة جنسيا او عرقيا او

دينيا او قوميا. ومن هذا المنطلق، فلا فرق بين الرجل والمرأة في الكتابة والتفكير. ومجال الابداع والتفوق مفتوح امام الجميع. ولا يستدل من عدم تفوق نساء كثيرات في الماضي على عدم مقدرتهن على التفوق بالمطلق. فعدم تفوق المرأة هذا، ان دل على شيء، فلا يدل على نقص في عقل المرأة، وانما على نقص في الفرص التي اتيحت لها. العلة، اذن ليست في النساء وعقولهن، بل في علاقة الرجال الذين يفرضون واقعا مرّاً على المرأة ويمنعونها من اظهار علو كعبها في التفكير والابداع. ولعمري ان في ذلك غلوا في الظلم. نحرم النساء فرص التفكير ثم نلومهن لقلة ابداعهن، ونتعالى عليهن، فكيف يبدعن وهن مكبلات، او كيف ينتجن وهن مستسخفات ؟ واجب الرجل، اذن، وبادئ ذي بدء، هو ان يقلع عن الاستعلاء المستهجن على النساء، أكان في الكتابة ام القراءة، ام في أي حقل آخر. فالانسان ذو قيمة اساسية واحدة، تكون للرجل كما تكون للمرأة، وبالقدر ذاته.

ان قراءتي لما تكتبه المرأة، تتخطى الحواجز الجنسية والاجتماعية والجمالية من اساليب تعبيرية وفنية، لتصل الى ادراك جوهر تلك الكتابة، ما تحمله من معان. وعندما امحّص كتابات امرأة ما، أسعى الى معرفة الاهداف التي تبغي الكتابة ان تحققها، متفهما ذلك المنظار الشخصي الذي تنطلق منه. فاذا وجدت كاتبة رغبة في التعبير عن نفسها من منظار انثوي، تفهمت ذلك. وان كتبت عن موضوع ما بتجرد، سعيت الى ادراك كنه ما تكتب. واذا كتبت في شأن عام، احترمت رأيها، اشاركتها رأيها ام لا. وان كتبت في شأن نسائي خالص، كتحرير المرأة مثلا، افسحت لها المجال في ذلك، اجاريتها في ذلك لم لا.

وهكذا اجد ان موضوع تحليل موقفي ازاء الكتابة النسائية يقودني الى بحث موضوع اشمل الا وهو كيف يجدر بالرجل، بشكل عام، ان ينظر الى الكتابة النسائية. وتقودني تأملاتي في هذا الموضوع الى استنتاجين جوهريين او اساسيين ينبغي للانسان ان يتحلى بهما : اولا انه يجب على الرجل المثقف ان يتبنى حقوق المرأة كمبدأ من مبادئ حقوق الانسان فيساوي بين الجميع، رجالا ونساء. وثانيا ان يحترم رأي المرأة مفسحا لها مجال التعبير عنه،

كمبدأ ضروري لحياة ديموقراطية يتساوى فيها الرجل والمرأة في الكرامة والكتابة.

ابراهيم ي. النجار

* استاذ فلسفة في الجامعة الاميركية في بيروت.